بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ الدكتور محمد خير الشعال

يُسارعون في الخيرات

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فهو المهتَد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه، ولو كره الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، واعلموا أنه ليس بعد الإيمان من شيء نفيده على هذه الأرض إلا فعل الخير، والله ما من شيء أنت مستفيد منه على هذه الأرض بعد أن آمنت بالله تعالى إلا أنك تفعل الخير، كل الحياة التي أعدت لك في هذه الدنيا لتزداد من فعل الخير، من كثرت حسناته فحياته على هذه الأرض لها قيمة كبيرة سيجدها في الدنيا وفي الآخرة، ومن كثرت سيئاته ليت أمه لم تلده، ومن استوى بين الحسنات والسيئات فهو رجل مغبون، تعالوا يا قومي ما استطعنا فيما بقي لنا من آجال مضروبة على هذه الأرض أن نَغنم من الأعمال الصالحات، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] وهذه ﴿يره﴾ مُطلقة، أين يرى هذا الخير في الدنيا أم في الآخرة؟ مُطلقة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ يعني سيراه في الدنيا وفي الآخرة، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة: ٨] يعني في الدنيا وفي الآخرة، ثم أستفتح بالذي هو خير: يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا

تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

روى الإمام مالك في الموطأ: بلغه أن النبي ﷺ كان يدعو: (**اللَّهُمَّ إني أسألك فعلَ الخيرات، وترك المنكرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أردت بقومٍ فِتنَة فَاقبِضْني إليك غير مفتون**) [رواه الترمذي]. عنوان خطبة اليوم: (**يسارعون في الخيرات**)

لفتني -أيها الإخوة- في سورة الأنبياء أنها تكلمت عن خمسة عشر نبي، وتضمنت الحديث بإيجاز عن جهادهم مع أقوامهم الوثنيين، وعرضت لشيء مما تعرضوا له من أهوال وشدائد، صبروا عليها وصمدوا أمامها، راجين نشرَ الخير في الأرض، وعميمَ الأجر في السماء.

استوقفني في السورة أنها تَحدثت أو أنهت الحديث عن الأنبياء خِيرة البشر في الآية التسعين منها بوصفهم -يسارعون في الخيرات-، خَمسة عشر نبياً خاتمة وصفهم بعد ذكر جهادهم على هذه الأرض؛ يسارعون في الخيرات، ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ * وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٩٠].

فلماذا قال الله تعالى: {يسارعون}؟ ولم يقل: "يسرعون"؟

ولماذا قال الله تعالى: {يسارعون في الخيرات}؟ ولم يسارعون "إلى الخيرات"؟

ولماذا قال الله تعالى: {الخيرات}؟ ولم يقل: "الخير"؟

استوقفني في هذه الكلمات الثلاثة هذه الوقفات، قال يسارعون ولم يقل يسرعون، قال في ولم يقل إلى، قال الخيرات ولم يقل الخير.

هذه الثلاث النقاط هي مادة خطبة اليوم: **"يسارعون في الخيرات"**، ولها مالها من الأهمية في الأزمة التي نعيش، والتي نسأل الله تعالى تعجيل كشفها بلطفه.

النقطة الأولى: لماذا قال الله تعالى يسارعون ولم يقل يسرعون، رسله الذين يتعرضون لما يتعرضون له من الإساءة والشرور من أهل الباطل والضلال ومن الظلمة الفجار، ثم ما مبرر الإسراع أصلاً في عمل الخير في الأرض، وفي الأرض ما في الأرض من شرور، وفيها ما فيها من هموم ومصائب وصوارف تصرف العباد على أن يتحركوا أصلاً فضلاً على أن يعملوا الخير ؟

الجواب: يقول أهل اللغة: إن زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى، يسرعون ستة أحرف، بناء يسرعون ستة أحرف، ويسارعون سبعة أحرف، زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى، والمعنى في يسارعون: يسرعون إسراعاً كبيراً، تطير هممهم وتخفّ أجسامهم لفعل الخير وبذر الخير وبذل الخير، وفي هذا تعليم لكل مؤمن في الحياة عامة وفي زمن الأزمة خاصة أن يطير للخير، وأن يحدو ركابه مسرعاً نحوه، أما لماذا هذه السرعة الشديدة؟ فوجدتها لأربعة أمور: لماذا يجب عليك الآن الآن في لجة هذه الأزمة أن تسارع إلى الخير لا أن تسرع مطلوب إليك أن تسارع لأربعة أمور:

أولاً: لأن الخير في الأرض سيبقى، ولأن النور في الأرض سيسطع، مهما حاول الظلمة طمس النور، ومهما حاول أهل الفجور نشر الضلال والظلم والفجور، الخير هو الذي سيبقى والنور هو الذي سيسطع ، فما لم تكن أنت حاملاً للخير باذلاً له فسيسبقك إليه غيرك، وسيحمله سواك، فكن أنت السابق لتفوز باللحوق بركب الخيرات، الآلاف سيسبقونك وسيحملون هذا الخير، لذلك أنت تحتاج إلى مسابقة وإلى مسارعة، حتى تصل لهذا الخير فتحمله، فإذا رُفع الخير إلى الله وجد اسمك معه ومع أهله، لذلك يَجب عليك أن تسارع في فعل الخير.

وثانياً: لأن المؤمن يَعلم أن حياته على الأرض قصيرة، فتراه يُسارع للخير ليجمع أكبر قدر منه قبل أن يرحل عن هذه الأرض، يا أيها الإخوة غداً إذا متنا ودخلنا الجنة -إن شاء الله-

أصعب شيء عليك أن تجد أخاك الذي كان أمامك في المسجد يطير في غرف الجنة وأنت وراء باب الجنة جالس، أصعب شيء أن ترى ابنك في الفردوس الأعلى وترى نفسك في درجة دنية، حتى إذا قلك خذوني لألقى صديقي في الأعلى، يقولون: نعتذر، الناس درجات، أنت هنا درجتك، وذاك درجته في الأعلى، ذاك كان يسارع في الخير، وأنت كنت تتباطئ إلى الخير، المؤمن يعلم أن حياته قصيرة، وأن المغنم الوحيد له أن يحصد من الخير ما استطاع، لذلك تجده يسارع قبل أن يمضي من هذه الحياة الدنيا، وما استفاد أحدنا طال عمره يوماً بعد أخيه إلا أنه ازداد من الأعمال الصالحة، لذلك يجب علينا أن نسارع لا أن نسرع.

وثالثاً: لأن الإسلام علمنا المبادرة للخير، ودعانا إلى الإسراع إليه مراراً، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. قال النبي ﷺ: (**بادِرُوا بالأعمال سبعاً**) لا تعملوا عمل، بادروا بسرعة بسرعة في سبعة أمور، إما متفرقين وإما مجتمعين، بادروا بالأعمال سبعاً قبل أن تفاجئكم هذه السبعة، (**هل تنتظرون إلا فَقْراً مُنْسياً، أو غِنىً مُطغياً، أو مَرَضاً مُفسِداً، أو هَرَماً مُفنِداً، أو موتاً مُجْهِزاً، والدجال؟ فشَرُّ غائب يُنتَظَرُ، والساعةَ؟ والساعةُ أدْهَى وأمرُّ**) [أخرجه الترمذي]. وقال النبي ﷺ: (**بادروا بالأعمال ستاً: طلوعَ الشمس من مغربها**) في يوم من الأيام سنجد أن الشمس طلعت من المغرب، يعني يوم القيامة، بسرعة ما في وقت، متى صار يوم القيامة بتقول: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] (**أو الدخانَ، أو الدجالَ، أو الدابةَ، أو خاصَّةَ أحدكم**) كم صلى في هذا المسجد من رجل مات؟ وكم من امرأة صلت في هذا المسجد ماتت؟ لذلك بسرعة بسرعة، (**أو أمرَ العامة**) يعني أن تقوم يوم القيامة [أخرجه مسلم]. وقال رسول الله ﷺ: (**بادروا بالأعمال فِتناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المظلم، يُصبحُ الرجلُ مؤمِناً ويُمْسِي كافِراً، ويُمسِي مُؤمِناً ويُصبْحُ كافِراً، يَبيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ من الدُّنْيا**) [أخرجه مسلم والترمذي].

لذلك المسلم يُسارع في الأعمال الصالحات -أيها الإخوة- من أجل أنه يعلم أن حياته قصيرة، ومن أجل أن الإسلام دَرَّبَه على المبادرة، ومن أجل أن يَسبق إلى الخير، لأنه يعلم بأن الخير على الأرض مَوجود، وإن لم تَسبق أنت سيسبقك غيرك.

ورابعها: لأن أهل الشر يعملون ويسرعون، فوجب على أهل الخير أن يعملوا ويسارعوا، لا تنام لأن غيرك من أهل الضلال لا ينام، إياك أن تركن لأن غيرك من أهل الضلال لا يركن، إياك أن تلهو وتلعب فغيرك يترصد بك ويعمل ويسرع، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢١-١٢٢] فلئن كان أهل الخيرات يسارعون في الخيرات، فإني قرأت في القرآن أن أهل الضلال يُسارعون في الضلال والفجور: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦]. ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢].

أيها الإخوة: إن الأزمة التي تمر بها البلاد كشفت معادن الناس زَيفَها وجيدها، ومازت الرجال خبيثها وطيبها، وأظهرت الأعمال صالحها ورديئها، فرأيت قوماً هبطوا بالإجرام دَرَكَات، ورأيت أناساً علوا بفعل الخير درجات، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً.

رسم رسام من شباب هذه البلدة رجلاً معروفاً، وعرض الصورة على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي، فشاركه أصدقاؤه الثناء والإطراء على اللوحة، غير أن واحداً مِنهم كَتب مُعلقاً على الشخص المرسوم بقوله: "رجل الخير".

ووُضعت لوحة فيها شخصية معروفة على أحد المواقع الالكترونية، وطُلب من الداخلين كتابة تعليق، فكتب أحد الزائرين قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]. هذه صورة وهذه صورة، واحد كتبوا عليه رجل الخير، وواحد كتبوا تحت صورته إنه لا يفلح الظالمون.

لا ريب -أيها الأخ- أنك ستُرسم يوماً ما، بلا شك كل واحد منكم سيرسم، إن لم يكن في الأوراق ففي الأذهان، إذا ذكر اسمه ستمثل صورتك في أذهان مَن حولك، ترى ماذا سَيُقَال فيك؟ وماذا سَيُكتَب تحت صورتك؟ فقدّم لنفسك الخير من الآن، وسارع فيه وله.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (مُرَّ على النبيِّ ﷺ بجنازة، فأثْنَوْا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ وَجَبَتْ، ثم مُرَّ بأخرى فَأثْنَوْا عليها شراً، فقال: وجبت، فقيل: يا رسول الله، قلت لهذا: وجبت؟ ولهذا: وجبت؟ قال: شهادةُ القوم، المؤمنون شهداءُ الله في الأرض) [رواه البخاري ومسلم]. وفي رواية: (من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتُم عليه شرّاً وجبت له النار، أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض) [رواه البخاري ومسلم].

والنتيجة -أيها الإخوة- أن الله تعالى قال في وصف أنبيائه -خيرةِ البشر-: {يسارعون}، ولم يقل: "يسرعون"، لأنهم كانوا شديدي الإقبال على عمل الخير، سريعي النفرةِ إليه، وهذه النقطة الأولى في هذه الخطبة.

وأما النقطة الثانية: فلماذا قال الله: {يسارعون في الخيرات}؟ ولم يقل: "يسارعون إلى الخيرات"؟ أسرع إلى الشيء إذا كان خارجه واستعجل الوصول إليه، أسرع إلى المسجد يعني كان خارج المسجد، أما أسرع في الشيء إذا كان داخله وتعجل المضي فيه.

فالصالحون من البشر هم في الخير أولاً ووسطاً وآخراً، ولكنهم مع ذلك يتبادرونه ويتسابقون فيه ويتنافسون، يحيط بهم الخير ويجتمعون جميعاً حول الخير، إن نالوه سعدوا وإن فاتهم حزنوا.

أخرج رزين في جامع الأصول عن زيد الخير ﷺ قال: قلت يا رسول الله! لَتُخْبِرَنِّي: ما علامة الله فيمن يريد، وما علامته فيمن لا يريد؟ أنا مقبول عند الله أم لا؟ قال لي: (**كيف أصبحتَ يا زيد؟**) قلتُ: أصبحتُ أحبُّ الخيرَ وأهله، إن قدرتُ عليه بَادَرْتُ إليه، وإن فَاتَني حَزِنْتُ عليه، وَحَنَنْتُ إليه، قال رسولُ الله ﷺ: (**فتلك علامة الله فيمن يريد، ولو أرادكَ لغيرها لَهَيَّأَكَ لها**). إذا رأيت رجلاً يُحب الإجرام، إذا رأيتم رجلاً يحب أهل الضلال، إذا

رأيتم رجلاً لا يحب نشر الخير في الأرض، اعلموا حاله عند الله عز وجل، لذلك قال الله تعالى {يسارعون في} ولم يقل "يسارعون إلى".

وأما النقطة الثالثة الأخيرة: فلماذا جاءت الآية: {يسارعون في الخيرات}؟ ولم تقل: "يسارعون في الخير"؟

فلا يخفى على أحد، الجمع المُصَرّح به في قوله الخيرات، في دلالة واضحة أنهم يتفننون في الخيرات أشكالاً وألواناً، ويتنافسون فيها أعداداً وأنواعاً.

ففي هذه الأزمة -أيها الإخوة- رأيتم إخوة يسارعون في الخيرات: فحيناً يبحثون عن المريض لمساعدته في نفقات العلاج والاستشفاء، وحيناً يبذلون المال ثمناً لطعام من لا طعام عنده، وكساء من لا كساء عنده، وحيناً يُساعدون الطلاب في دراستهم بدروس خصوصية، بأجر مرة وبدون أجر مرات. ورأيتم من يساعد في الدعم النفسي للأطفال والنساء، ومن يعين في إخراج المسجونين ظلماً، ومن يواسي المفجوعين والمصابين بالكلمة الطيبة إذ لم يسعفه المال، ورأيتم من يساعد الناس بعدم المغالاة في الأسعار، ومن يُعينهم بالإيواء بأجرة مُعتدلة وربما من دون أجرة. ومن الصيادلة من يحرص على بيع أقل كمية من الدواء للمريض ليوفر الباقي لمريض آخر، ومن الأطباء من لم يَرضَ بالسفر ليقف إلى جانب المرضى المحتاجين له داخل البلد، ومن الذين سافروا من يُفكرون بدعم الذين بقوا مادياً ومعنوياً.

وهكذا يتفنن أهل الخير في الخيرات، على حين تجد وجدتم أهل الشر مفضوحين يتفننون في الضلالات: سرقة ونهباً، تدميراً وقتلاً، جوراً وبطشاً، ظلماً وقهراً.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

أيها الإخوة: هذه نقاط الخطبة الثلاث "يسارعون في الخيرات"، واعلموا يقيناً أن الخير لا يبلى، وأن الذنب لا ينسى، وأن الديان لا يموت، اعمل ما شئت فكما تدين تدان.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**على كُلِّ مسلمٍ صدقة**) هي تعاليم الدين، يجب على كل مسلم أن يبذل الخير، على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إنْ لم يَجِدْ؟ والله ما معي، قال: (**يَعْملُ بِيَديْه، فينفعُ نفسَهُ ويتصدَّق**) قال: أرأيتَ إنْ لم يستَطِعْ؟ قال: (**يُعينُ ذا الحاجة الملْهُوف**) قيل له: أرأيتَ إن لم يستطع؟ قال: (**يأمُرُ بالمعروف، أو الخير**) قال: أرأيت إنْ لم يفْعَل؟ قال: (**يُمسِكُ عن الشَّرِّ، فإنَّها صدقة**) أو كما قال النبي ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق